إنَّ عالَمَنَا يواجهُ اليومَ هجمةً شرسَةً منَ التَّطرُّفِ والإرهَابِ والعُنفِ، وتشتعِلُ الحروبُ الأهليَّةُ فِي عدَدٍ منَ البُلدانِ، وتؤدِّي أنظمَةٌ سياسيَّةٌ إلَى تَقويضِ ديمقرَاطِيَّاتٍ ذاتِ تعدُّدِيَّةٍ حِزبِيَّةٍ، ويواكِبُ ذلكَ تقدُّمٌ غيرُ مسبُوقٍ فِي الاقتصَادِ والعُلُومِ والتُّكنُولُوجيَا والاتِّصَالاتِ والنَّقلِ والتَّعليمِ. لماذَا هذَا التَّناقُضُ؟ ولماذَا يحدُثُ الآنَ؟

منَ الواضِحِ أنَّ هذَا التَّناقضَ الهائِلَ قد حدَثَ؛ لأنَّنَا فِي وسطِ تحوُّلٍ نِظَامِيٍّ للحضارَةِ العالميَّةِ للمرَّةِ الأُولَى فِي تاريخِ البشريَّةِ، ويتَّسِمُ هذَا التَّحوُّلُ بالتَّعايُشِ فِي ظِلِّ عدَمِ الاستقرَارِ والتَّوتُّرِ من جِهَةٍ، والتَّعلُّقِ بالآمَالِ والتَّطلُّعَاتِ من جِهَةٍ أُخرَى.

إنَّ استجابَاتِنَا لحلِّ المشكلَاتِ لَا ينبغِي أن تقومَ علَى أساسِ التَّشاؤُمِ واليأسِ؛ بَل يجبُ أن تكونَ جُزءًا لَا يتجزَّأُ منَ الجُهُودِ الرَّاميَةِ إلَى إنشاءِ حضارَةٍ عالميَّةٍ جديدَةٍ، تُحقِّقُ نظامًا قِيَميًّا يتَّسِمُ بالتَّعدُّديَّةِ الثَّقافيَّةِ، ويُؤثِّرُ بِدَورِهِ علَى الثَّقافَاتِ الفرديَّةِ حيثُ يكونُ التَّسامُحُ والتَّنوُّعُ هُوَ جوهرَ النُّظُمِ الاجتماعيَّةِ.

وكَي نحاوِلَ صياغَةَ إطَارِ الجِيلِ الثَّانِي منَ الحضارَةِ العالميَّةِ، فمنِ المفيدِ أن نستقرِئَ التَّاريخَ ممَّا نحنُ عليهِ الآنَ، وهُوَ تاريخُ «حِوارٍ لَا ينتَهِي بينَ الحاضِرِ والماضِي»(*).

ومنَ الجدِيرِ بالذِّكرِ، أنَّ فكرةَ الحضارَةِ العالميَّةِ الأُولَى قد انبَنَت علَى ميثَاقَيِ السَّلامِ البريطانيِّ والأمريكيِّ: بَاكس بريتانيكَا (Pax Britanica)، وبَاكس أمريكانَا (Pax American) علَى مدارِ المائَتَي عامٍ الماضيةِ.

كمَا يُعَدُّ تاريخُ القرنَينِ الماضيَينِ محاولَةً للبحثِ فِي أُسُسِ صُنعِ أوَّلِ حضارَةٍ عالميَّةٍ، بالعَودَةِ إلَى التَّاريخِ الأوروبيِّ وتاريخِ اليونَانِ القديمِ. لقد كانَت عمليَّاتُ قيامِ حضارَاتٍ وسقُوطِ حضارَاتٍ وإمبراطوريَّاتٍ أُخرَى تُعَدُّ فِي أحسنِ الأحوَالِ قصصًا تشهدُ انحيازًا كبيرًا(*)، وغالبًا مَا يحدُثُ ذلكَ من خلالِ قصصِ «البَرَابِرَةِ». ومعَ نهايَةِ الحضارَةِ العالميَّةِ الأُولَى الَّتِي تلُوحُ فِي الأُفُقِ، تأتِي القصصُ «البربريَّةُ» لِتَتَصَدَّرَ أهمَّ العوامِلِ الَّتِي تُشَكِّلُ الجِيلَ الثَّانِي لتلكَ الحضارةِ العالميَّةِ، إلَى جانبِ صُوَرِ التَّاريخِ الأوروبيِّ الَّتِي تحتاجُ- إلَى الآنَ- إلَى إعَادَةِ صياغَةٍ كتاريخٍ محليٍّ أسهَمَ فِي تشكيلِ الحضارَةِ العالميَّةِ الأُولَى.

فِي الحقيقةِ، هناكَ بعضُ المحاوَلاتِ للنَّظَرِ فِي تاريخِ عددٍ منَ الإمبراطورِيَّاتِ بطريقَةٍ متوازِيَةٍ(*). ولا بُدَّ من متابعَةِ هذهِ الجهُودِ بشكلٍ عاجِلٍ.

إنَّ المطلوبَ ليسَ أقلَّ من إحدَاثِ تغييرٍ كامِلٍ فِي منظُورِ تاريخِ العَالمِ؛ حيثُ يجبُ البحثُ عن أُصُولِهِ فِي جميعِ أرجَاءِ الأَرضِ وفِي أوقاتٍ مختلِفَةٍ.

إنَّ نهضَةَ آسيَا تبدُو الآنَ جَلِيَّةً للجميعِ، ففِي بدايَةِ القرنِ التَّاسِعِ عشرَ، شكَّلَ الاقتصادُ الآسيوِيُّ أكثرَ من نصفِ إجمالِي النَّاتِجِ المحلِيِّ عالميًا، وهُوَ الوضعُ الَّذِي أَعقَبَهُ دوَّامَةٌ منَ التَّدهوُرِ خلالَ العقُودِ الأُولَى منَ القرنِ العشرينَ، وبدأتِ اليابَانُ وحدَهَا فِي آسيَا عمليَّةَ التَّحدِيثِ من سبعينَاتِ القرنِ التَّاسعِ عشرَ، وبعدَ مُضِيِّ قرنٍ، بدأت بُلدانٌ آسيويَّةٌ أُخرَى تشهدُ نموًّا اقتصاديًّا مرتفعًا، دَشَّنَتهُ مجموعةُ الدُّوَلِ حديثةِ العهدِ بالتَّصنِيعِ فِي السَّبعينَاتِ، وتبعتهَا بعضُ بلدانِ جنوبِ شرقِ أوروبَّا فِي النِّصفِ الثَّانِي منَ الثَّمانينَاتِ، وكذَا الصِّينُ فِي تسعِينَاتِ القرنِ الماضِي، ثُمَّ الهندُ من عامِ ٢٠٠٠م، وشكَّلَ صعودُ الاقتصادَاتِ الآسيوِيَّةِ مُجتمعَةً اتجاهًا واضحًا. وقد جرَى تحقيقُ هذَا الأداءِ الرَّائعِ من خلالِ حافزٍ بسيطٍ يتمثَّلُ فِي الحِفاظِ علَى الأوطَانِ؛ وهُوَ الأداءُ الَّذِي يؤثِّرُ بدَورِهِ علَى البِنيَةِ العالميَّةِ بطريقَةٍ جذريَّةٍ، ويؤدِّي إلَى إيجادِ تحوُّلٍ شاملٍ عالميًّا.

ونتيجةً لهذَا العامِلِ الجديدِ، تَرَاجَعَ الوزنُ النِّسبِيُّ فِي المجتمَعِ العالمِيِّ للولايَاتِ المتَّحدَةِ وأوروبَّا لبعضِ الوَقتِ، فمنَ المعرُوفِ جيِّدًا أنَّ التَّفاعُلَ التَّدريجِيَّ بينَ الشُّعُوبِ والهجرةِ تُعَدُّ عواملَ قويَّةً تُسهِمُ فِي نُمُوٍّ وتطوُّرِ الحضارَاتِ، لذلكَ تتَّجِهُ الدُّولُ إلَى الانفتَاحِ علَى الثَّقافاتِ الأُخرَى والهجرةِ فِي فَتَرَاتِ النُّمُوِّ الاقتصاديِّ المرتفعِ والثِّقَةِ بالنَّفسِ، ومعَ ذلكَ فمنَ المعروفِ جيِّدًا عبرَ التَّاريخِ أنَّ التَّداخُلَ المفاجِئَ بينَ الشُّعوبِ غالبًا مَا يُدمِّرُ الحضاراتِ والثَّقافَاتِ، وتميلُ الدُّولُ إلَى إغلاقِ أبوابِهَا أمامَ الشُّعوبِ «الأُخرَى»، سَوَاءٌ كانُوا مهاجِرِينَ أو لاجِئِينَ، أو حتَّى مُقيمِينَ داخلَهَا بالفعلِ، هذَا هُوَ الوضعُ الَّذِي تواجهُهُ الولاياتُ المتَّحدةُ وأوروبَّا فِي صورةِ صعودٍ للنَّزعةِ الشُّعُوبِيَّةِ.

إنَّ «الإسلامَ والغربَ» موضوعٌ يُشكِّلُ صعوبةً خاصَّةً فِي هذَا السِّيَاقِ، وهيَ قضيَّةٌ تحتاجُ إلَى التَّعامُلِ معهَا من منظورِ التَّحوُّلِ الحضَارِيِّ. وبناءً عليهِ، فإنَّ ندوةَ «الإسلامِ والغربِ» تتطرَّقُ إلَى جَوهَرِ التَّحدِّي التَّاريخيِّ الحالِي.

كمَا أنَّ القضايَا ذاتِ الصِّلَةِ، مِثل التَّعامُلِ معَ الإسلامِ فِي الدُّولِ الأوروبيَّةِ أوِ الاستجابَاتِ المحتملَةِ للدُّولِ الأوروبيَّةِ إزاءَ قضايَا المسلمِينَ الأفارقَةِ فِي المستقبَلِ القريبِ، والَّتِي عَادةً مَا يتِمُّ تشخيصُهَا من منظورٍ تَشَاؤُمِيٍّ، يجبُ النَّظرُ إليهَا من منظورٍ أوسعَ حيثُ تَتَّسِمُ أيُّ حضارةٍ جديدةٍ باحترامِ التَّنوُّعِ الَّذِي يتمخَّضُ عنهُ التَّسامحُ.

وإدراكًا للصُّعُوباتِ الَّتِي تواجِهُ حلَّ المشاكلِ المتعلِّقَةِ بالمجتمعاتِ الشَّعبيَّةِ والمتأصِّلَةِ فيهَا والَّتِي تمتدُّ إلَى السِّياسَاتِ الدَّوليَّةِ، إنَّنَا نحتاجُ من خلالِ هذهِ النَّدوةِ إلَى توسِيعِ أُفُقِ النِّقَاشِ خطوةً بخطوةٍ، وسيظهَرُ حينئذٍ منظورٌ مشرقٌ حولَ هذهِ القضايَا الصَّعبةِ عندمَا تَتَّضِحُ صُورةُ الحضارةِ الجَديدةِ بشكلٍ تدريجيٍّ.

وبَدءًا منَ الأزهرِ، يجبُ أن تكونَ الخطوةُ الثَّانيةُ هيَ إشراكَ آسيَا فِي الحِوارِ بينَ الإسلامِ والغربِ.

إنَّ آسيَا -تلكَ القارَّةُ الَّتِي تضمُّ أكبرَ مجتمعٍ إسلامِيٍّ فِي العالَمِ، والقارَّةُ الأكبرُ من حيثُ عددِ السُّكَّانِ والَّتِي ستصبحُ قريبًا صاحبَةَ أعظمِ اقتصادٍ فِي العالمِ- عليهَا أن تضيفَ منظورَهَا الخاصَّ بشأنِ المسؤوليَّةِ العالميَّةِ فِي الفترَةِ القادمَةِ. وعلَى الرَّغمِ من أنَّ البُلدانَ والمجتمعاتِ الآسيويَّةَ تَتَّسِمُ بالتَّنوُّعِ بلَا ريبٍ، إلَّا أنَّنَا نجدُهَا تتقاسَمُ فِي الوقتِ ذاتِهِ بعضَ السِّمَاتِ المشتركةِ، بمَا فِي ذلِكَ إحساسٌ قويٌّ بالوَلَاءِ للطَّبِيعَةِ، واحترامُ وِجهَاتِ نَظَرِ ومشاعِرِ الآخَرِينَ، والتَّقديرُ الكبيُر للتَّوَاؤُمِ والانسجَامِ، وغالبًا مَا يُصابُ الآسيويُّونَ بالإحبَاطِ بسبَبِ القواعدِ الحاليَّةِ للسِّياساتِ الدَّوليَّةِ الَّتِي لَا تُولِي اهتمامًا لهذهِ القِيَمِ، وينتهِي بِهِمُ الأمرُ بصِرَاعاتٍ تنشَأُ عن تجاهُلِ هذهِ القِيَمِ.

وفِي إطارِ العمليَّةِ المتطوِّرةِ لوضعِ منظورٍ حضاريٍّ جديدٍ، سَيُصِرُّ الآسيويُّونَ بشدَّةٍ علَى أهميَّةِ هذهِ القِيَمِ الَّتِي جرَى التَّعامُلُ معَهَا علَى أنَّها ثانويَّةٌ فِي النِّظامِ الدَّولِيِّ الحَالِي. وقد تنعكسُ هذهِ القِيَمُ إيجابًا فِي عمليَّةِ التَّنوُّعِ والاستدامَةِ والتَّسامُحِ بوصفِهَا قواعِدَ للحضَارَةِ العالميَّةِ النَّاشِئَةِ. وبعدَ الانتهاءِ من هذهِ الخطوةِ الثَّانيةِ منَ الحِوارِ الَّتِي ستستغرِقُ بعضَ الوقتِ، يجبُ أن تكونَ هناكَ خطوةٌ ثالثةٌ تَتَمَثَّلُ فِي إطلاقِ محادثاتٍ ومُشاورَاتٍ عالميَّةٍ.

وجديرٌ بالذِّكرِ أنَّ الاعترافَ بأهميَّةِ الدِّراساتِ من منظورٍ عالميٍّ لإفريقيَا وأمريكَا الجنوبيَّةِ شرطٌ أساسيٌّ مُسبَقٌ للمشاركَةِ الفعَّالَةِ لهذهِ الدُّوَلِ فِي جُهدٍ عالميٍّ يهدِفُ إلَى توصِيفِ حضارةٍ عالميَّةٍ ثانيةٍ.
وبالنَّظرِ إلَى احتمالِ عدمِ قدرةِ أيِّ قوَّةٍ مُهَيمِنَةٍ علَى إملاءِ قواعدَ بناءِ حضارةٍ جديدةٍ -علَى عكسِ مَا كانَ سائدًا فِي الجِيلِ الأوَّلِ- ينبغِي أن تكونَ جميعُ الأُمَمِ والمجتمعاتِ قادرةً علَى التَّأثيرِ فِي العمليَّةِ القادمةِ، ومِن ثَمَّ يمكنُ أن يكونَ النَّشاطُ غيرِ الحكومِيِّ مثلُ هذهِ النَّدوةِ قادرًا علَى لعبِ دورٍ مهمٍ فِي الجهودِ الإبداعيَّةِ بالغةِ الأهميَّةِ للقرنِ الحادِي والعشرينَ، وهُوَ دورٌ ضروريٌّ، ورُبَّمَا يكونُ دورًا رئيسيًّا، وبالنِّسبةِ للخطواتِ التَّاليَةِ، لَا يقتصرُ الأمرُ علَى التَّوسُّعِ الجغرافيِّ فقط؛ بل يقتضِي كذلِكَ تَوسيعَ التَّغطيةِ الجيليَّةِ، فثَمَّةَ مساهماتٌ مُحتَمَلَةٌ كبيرةٌ يمكنُ توقُّعُهَا منَ الشَّبابِ.
إنَّ هذَا القرنَ هُوَ قرنُهُم بالفعلِ، فمِن خلالِ الإنترنتِ وأنماطِ الاستهلَاكِ والتَّعليمِ فِي الجامعاتِ متعدِّدَةِ الثَّقافَاتِ بأَعدَادٍ متزايدَةٍ، يَتَسَنَّى لهُم بالفعلِ بناءُ ومعايشةُ مرحلةٍ مبكرةٍ من حضارةٍ عالميَّةٍ جديدةٍ، ويجبُ أن تكونَ رؤيتُهُم للحضارةِ العالميَّةِ فِي جيلِهَا الثَّانِي دليلًا لهذهِ العمليَّةِ بطريقةٍ أكثرَ واقعيةً، فهُناكَ أكثرُ من ٣٠٠ مليونِ طالبٍ جامعيٍّ فِي جميعِ أنحاءِ العالمِ مرتبطِينَ ببعضِهِم البعضَ عبرَ الإنترنتِ، ومِن ثَمَّ فهُم يُمثِّلُونَ عناصرَ مهمَّةً لبناءِ الحضارةِ العالميَّةِ الجديدةِ، ولهذَا الغَرَضِ ينبغِي إدراجُ المشارَكَةِ عبرَ الإنترنتِ فِي العمليَّةِ بالإضافَةِ إلَى المشارَكَاتِ المباشرةِ فِي المناقشةِ من جَانِبِ البعضِ.
بَدءًا منَ الأزهَرِ، قد تكونُ هذِهِ العمليَّةُ الَّتِي تُعَزِّزُ ظهورَ حضارةٍ عالميَّةٍ جديدةٍ جُزءًا لَا يتجزَّأُ من نهضةِ مصرَ، وعامِلًا حاسمًا من شأنِهِ أن يُسهِمَ فِي تحقيقِ الاستقرَارِ والازدهَارِ فِي منطقةِ الشَّرقِ الأوسَطِ ككلٍّ، وهُوَ بدَورِهِ شرطٌ أساسيٌّ لبناءِ حضارةٍ جديدةٍ مشرقةٍ.
ومنَ المحتمَلِ جدًّا أن تؤدِّي هذهِ العمليَّةُ إلَى إطلاقِ أنشطَةٍ أُخرَى فِي أجزَاءٍ أُخرَى منَ العالَمِ، ممَّا يجعلُهَا حركةً عالميَّةً.
وعلَى النَّقِيضِ منَ الجِيلِ الأوَّلِ للحضارَةِ العالميَّةِ الَّتِي دُعِمَت بطريقةٍ تنازُليَّةٍ منَ القِمَّةِ إلَى القاعِدَةِ «المملكةُ المتَّحدةُ-المملكةُ المتَّحدةُ. الولاياتُ المتَّحدةُ- الولاياتُ المتَّحدةُ»، فإنَّ الجيلَ الثَّانِي الَّذِي منَ المقرَّرِ أن يتجلَّى فِي عمليةٍ واسعةِ النِّطَاقِ فِي العالمِ النَّاشِئِ متعدِّدِ الأقطَابِ، منَ المحتمَلِ أن

يتضمَّنَ نشاطًا مُتَباينًا، وقد يؤثِّرُ الوضوحُ المفاهيمِيُّ للأنشطَةِ علَى العمليَّةِ برمَّتِهَا فِي هذهِ الحالَةِ.
إنَّ ندوةَ «الإسلامِ والغربِ» تتمتَّعُ بهذَا المستوَى منَ الوضوحِ الَّذِي يشيرُ إلَى جوهرِ قضيَّةِ التَّغييرِ الحضارِيِّ، ومِن ثَمَّ فإنَّهَا تمتلكُ مَزِيَّةً واضحةً عن غيرِهَا بوصفِهَا نقطةَ انطلاقٍ لحركةٍ عالميَّةٍ محتملةٍ فِي الفترَةِ المقبلَةِ.